الامبراطور جونز

ترجمة : د. عبدالله عبدالحافظ
مراجعة: د. طه محمود طه

PENGUIN PLAYS

Eugene O'Neill

The Emperor Jones

شخصيات المسرحية

بروتس جونز ، امبراطور : Brutus Jones

هنرى سميذرز تاجر من لندن : Henry Smithers

مواطنة عجوز :

ليم ، شيخ قبيلة : Lem

جنود ، من اتباع ليم :

أشباح صغيرة تمثل مخاوف ، جيف ، سجناء زنوج ، حارس السجن ، مزارعون ، دلال ، عبيد ، ساحر من الكنغو (يمالج المواطنين بالشعوذة) ، تمساح مقدس ٠

تجرى أحداث المسرحية فى احدى جزر الهند الغربية التى لم تنل على أيدى البحارة البيض حق تقرير المصير ٠ نظام الحكومة الحالى نظام امبراطورى ٠

المشاهد

المشهد الاول	:	فى قصر الامبراطور جونز ، بعد الظهر ٠
المشهد الثانى	:	حافة الغابة الكبيرة ـ وقت الغسق ٠
المشهد الثالث	:	فى الغابة ، ليلا ٠
المشهد الرابع	:	فى الغابة ، ليلا ٠
المشهد الخامس	:	فى الغابة ، ليلا ٠
المشهد السادس	:	فى الغابة ، ليلا
المشهد السابع	:	فى الغابة ، ليلا ٠
المشهد الثامن	:	كالمشهد الثانى ـ حافة الغابة الكبيرة ، فى الفجر ٠

ملون . تتردد عند المدخل ، وتحدق النظر فيما حولها كما لو أنهــا فزعة للغاية من أن يراها أحد . ثم تنسل في هدوء خطوة خطوة نحو المدخل في مؤخرة المسرح . في هذه اللحظة يبدو سميزرز وراء البهو .

سميزرز طويل القامة ، عريض المنكبين ، في حوالي الأربعين من العمر . تستقر رأسه الصلعاء على عنق طويل له تفاحة آدم تبدو في ضخامتها كالبيضة . ولقد لفحت شمس المناطق الاستوائية وجهه الذي كان له لون العجين فأصبح بملامحه الصغيرة الحادة ذا لون أصفر سقيم ، كما صبغت الخمور المحلية أنفه المحدبة فجعلتهــا حمراء بدرجة مذهلة . أما عيناه الزرقاوتان الصغيرتان فجفونهما قد احمرت وبدت زائغة كعيون النمس . أما ملامح وجهه فتعبر عن خسة لا رادع لها ، وجبناً وشراً . يرتدي ملابس الصيد البيضاء القذرة ، وعلى ساقه تزلك ، وحول خصره حزام به طلقات ومسدس اتوماتيكي ، كما أنه يحمل في يده سوط . يرى المرأة ويتوقف ليلاحظها في ريبة . وبعد هذا يعقد العزم على شيء ، ثم يخطو بسرعة على أطراف أصابعه إلى داخل الغرفة . أما المرأة التى كانت تنظر وراءها بإستمرار ، فلم تره إلا متأخراً للغاية لدرجة أنها لا تستطيــع الفكاك منه . وعندما تراه يقفز سميزرز إلى الأمام ، ويمسك بكتفها بشدة . تحاول الفكاك منه بعنف ، ولكن دون إحداث جلبة) .

سميزرز : (يشدد من قبضته ـــ ثم يقول في فظاظة) خذي الأمر ببساطة ! كفى ! يا طائري العزيز . لا يمكنك التملص الآن . . إننى سأراقبك .

المـــرأة : (تدرك عدم جدوى المقاومة ، فتستسلم في فزع مريع ، وتخر على الأرض ممسكة ركبتيه في توسل) لا تقل له ! لا تخبره ، أيها السيد !

المشهد الأول

(قاعة الاستقبال في قصر الامبراطور — وهي غرفة رحبة عالية السقف ، ذات حوائط عارية بيضاء . أرضيتها من البلاط الأبيض . وفي المؤخرة ، إلى يسار منتصف المسرح ، ممر واسع ذو قبو يفضى إلى بهو ذى أعمدة بيضاء . ومن الواضح أن القصر يقع على أرض عالية . وإلى الخلف من البهو لانرى سوى منظر التلال البعيدة التى تتوج قممها أحراج كثيفة من شجر النخيل . وفي الحائط الأيمن ، نحو منتصف المسرح ، مدخل ذو قبو أصغر من سابقه ويفضى إلى الجناح المشغول من القصر . والغرفة عارية من الأثاث باستثناء كرسي ضخم من خشب غير مشغول وموضوع في الوسط وظهره إلى مؤخرة المسرح . يبدو في وضوح انه كرسي العرش الامبراطوري . وهو مطلى بلون قرمزي صارخ يؤذي النظر . وهناك على المقعد وسادة لونها برتقالي براق . ووسادة أصغر منها وضعت على الأرض كمسند للقدم . وهناك بساط مصبوغ باللون القرمزي يمتد من قاعدة كرسي العرش إلى كلاً من المدخلين .

الوقت عصراً ، وان كان ضوء الشمس الذهبي لا يزال يتوهج وراء البهو ، كما ان الواحد يشعر بوطأة حرارة الجو المرهقة .

عندما يرتفع الستار ، تنسل مواطنة زنجية في حذر من المدخل جهة اليمين . هي عجوز شمطاء ، ترتدي رداء رخيصاً من « البفتة » عارية القدمين ، يغطى شعر رأسها منديل أحمر براق فلا يظهر من شعرها سوى بضع شعيرات بيضاء متناثرة هنا وهناك . كما أنها تحمل على كتفها ومعلقه في طرف عصاها حزمة مربوطة بقماش

هناك في القريب العاجل (بمنتهى الشماته) إنني شخصياً سعيد جداً ! إنه يستحق هذا ! هذا الادعاء والغرور الكاذب ، من هذا الزنجي القذر ! صاحب الجلالة ! لعنه الله ! إنني فقط أود أن أكون حاضراً عندما يقتادونه ليطلقو الرصاص عليه (فجأة) إنه هنا ، أليس كذلك ؟

المـــرأة : نعم . إنه نائم .

سميزرز : لا بد وأنه سيتبين الأمر ، عندما يستيقظ . انه من الدهاء بحيث يمكنه أن يدرك بأن نهايته قد دنت (يتجه إلى المدخل جهة اليمين ، ويطلق صفيراً حاداً بعد أن وضع أصابعه في فمه . تهب المرأة العجوز واقفة ، وتعدو خارجة من المدخل ، جهة الخلف . يتبعها سميزرز . وهو يتحسس مسدسه) قفي . وإلا أطلقت عليك النار ! (عندما تقف – يقول بلا اكتراث) انطلقي كما تريدين ، إذن ، أيتها البقرة السوداء . (تقف في المدخل ، وهو ينظر إليها)

(يدخل جونز من جهة اليمين . طويل القامة ، قوي البنية ، زنجي أصيل ، في متوسط العمر . ملامحه زنجية تماماً ، وإن كان هناك حتماً شيء ما في وجهه يميزه عن غيره . . إذ تكمن وراء تعبير وجهه قوة عزيمة ، وثقة واعتداد شديد بنفسه توحي بالاحترام . ويشع من عينيه ذكاء حاد ماكر . أما تصرفاته فتتسم بالحصافة والريبة والمراوغة . يرتدي « جاكته » بدلته الرسمية ذات اللون الأزرق الفاتح ، والمرشقة بازرار

سميزرز : (في شغف عظيم) أخبره ؟ (ثم باحتقـــار) أوه ، أتعنين صاحب الجلالة ؟ على أية حال ، ما هي اللعبة ، لماذا تتسللين هكذا ؟ كنت تسرقين بعض الأشياء ، على ما أظن . (يخبط على الجزمة بسوطه بطريقـــة ذات معنى) .

المـــرأة : (تهز رأسها في حماسة) كلا ، أنا لا أسرق .

سميزرز : أيها الكذابة الأشرة ! لكن اخبريني ما الحكاية ؟ هناك شيء غريب يدور الآن إنني أحسست بـــه أول شيء عندما استيقظت هذا الصباح : ان الزنوج يدبرون شيئاً خطيراً . ان قصره هذا يبدو وكأنه قبر دام . أين جميع العمال ؟ (تظل المرأة صامتة في كآبة ثم يرفع سميزرز سوطه مهـــدداً) أوه ، ألا تتكلمين ، ألا تتكلمين ؟ سأريك إذن .

المـــرأة : (ترتعد خوفاً) سأخبرك ، أيها السيد ، لا تضربني . لقد رحلوا كلهم . (تقوم بحركة كاسحة مشيرة إلى التلال البعيدة) .

سميزرز : هربوا إلى التلال ؟

المـــرأة : نعم ، أيها السيد . ان الامبراطور — الأب العظيم (تسجد بحركة آلية سريعة) نام بعد الغذاء . عندئذ رحلوا جميعاً — جميعاً . أما أنا فامرأة عجوز — تركت لوحدي . لكني سأرحل أيضاً .

سميزرز : (في دهشة تتحول إلى شعور من الشماته) أوه ! إذن هذه هي الحكاية ! ايه ، انني أعرف جيداً ما يدور . ما داموا قد هرعوا إلى التلال . ان الطبول سوف تدق

جـــونز : (دون تأثر) حيث يذهبون كلما أغمض عيني للنعاس ، للشراب والتمتع باللذات في المدينة (في سخرية) كيف لا تعــرف ذلك ؟ ألا تشاركهم كل يـــوم السكر ، والانبساط ؟ .

سميزرز : (بتألم ، وان تظاهر بعدم الاكتراث . . ثم يغمز بعينه قائلاً) هذا جزء من عمل اليوم . . إنني أذهب هناك . . أليس ذلك من عملي .

جـــونز : (في احتقار) عملك ؟

سميزرز : (في غضب أحمق) يا إلهي . . يا إلهي ، لقد كنت سعيداً للغاية عندما كنت آخذك إلى هناك ، أول مـــا قدمت إلى هذه الجزيرة . عندئذ لم تكن لديك هـــذه المظاهر الفخمة !

جـــونز : (في لمحة تندفع يده إلى مسدسه . . ثم يقول مهدداً) تكلم بأدب ، أيها الرجل الأبيض ! تكلم بأدب ، سمعت ! إنني الآن الرئيس ، أنسيت ذلك ؟

(يبدو أن هذا التاجر من لندن كان وشك أن يتحدى هذه العبارة الأخيرة بسرد بعض الحقائق ، ولكـــن شيئاً ما في عين جونز أرهبه ومنعه من ذلك) .

سميزرز : (في تخاذل وجبن) انني لم أقصد أي اساءة ، أيهـــا الرئيس . !

جـــونز : (بتلطف) اعتذارك مقبول . (يبعد يده عن المسدس) لا فائدة من نبش المـــاضي . ما كنت عليه وقتـــذاك شيء ، وما أنا عليه الآن شيء آخر . انك لم تجرني الى

نحاسية ، ونياشين ذهبية ثقيلة على كتفيه ، وتطريز مذهب على ياقته وأكمامه . الخ . أما « البنطلون » فلونه أحمر فاتح يتدلى من جنبــه شريط أزرق فاتح . أما حذاؤه الجلدي الطويل الرقبة فله أربطة نحاسية ، وهناك حزام يتدلى منه مسدس طويل مقبضه مرصع باللؤلؤ ، وهذا المسدس الموضوع في جرابه يكمل صورة ملبسه . إلا أنه لا يوجد مدعاة للسخرية من الأبهة التى اعتــاد عليها) .

جــونز : (لا يرى أحد – يغتاظ جداً ويربش بعينيه في نعاس . . ثم يصيح) من يجسر على أن يصفر هكذا في قصري ؟ من يجسر على إيقاظ الامبراطور ؟ بالتأكيد سأصدر أمري بسلخ جلودكم أيها الزنوج ؟

سميزرز : (يتقدم نحوه – في حالة تجمع ما بين الخوف والتحدي) أنا الذي صفرت لك (وعندما يتجهم جونز يقول) لدي أخبار لك .

جــونز : (يتخذ مظهراً لطيفاً ، لا ينجح في إخفاء إزدرائــه للرجل الأبيض) أوه ، هو أنت ، إذن يا مستر سميزرز (يجلس على عرشه في عظمة) ، ما هي الأخبار التى تريد أن تفضى بها ؟

سميزرز : (يقترب منه في شماته) ألم تلاحظ شيئاً غريباً اليوم ؟

جــونز : (في برود) غريب ؟ كلا . لم ألاحظ أي شيء مــن هذا القبيل !

سميزرز : إذن أنت لست داهية بالدرجة التى ظننتها . أيــــن حاشيتك كلها ؟ (في تهكم) القواد والوزراء والجميع؟

أتمسك بوظيفة امبراطور لمجرد الفخامة والأبهة ، أتظن ذلك ؟ ان الابهة والطنطنة جـــزء منها ، لمجرد استهوا عقول هؤلاء الزنوج الذين يعملون في الغابات هنـــا . انهم يريدون عرض السيرك الكبير مقابل ما يدفعون من مال . أنا أقدم لهم هذا ، وهم يقدمون لى المـــال (ببسمة فاترة) ان التوفيق كان حليفى في كل مرة (ثم مؤنبـــا) لكن ، يا سميزرز ، ليس لك عندى اى شيء بعد هذا ، لقد جازيتك على ما قمت به من عمل لى مرات عديدة . ألم أحمك وأتستر على التجارة الفاسدة التى تمارسها في وضح النهار . . لقد فعلت هذا بالتأكيد . . وكنت في الوقت نفسه أضع قوانين لمنع هذا الفساد ! (يقهقه) .

سميزرز : (يبتسم في ضعف) لكن ، دون اساءة القصد ، انك تنهب من هنا وهناك ، أليس كذلك ؟ انظر الى الضرائب التى تفرضها عليهم ! يا الهى ! لقد استنزفتهم حتى أصبحوا عيدان جافة !

جـــونز : (يقهقه) كلا ، لم يجفوا بعد . انى اعتقد ان فيهم رمق ، أليس كذلك ؟

سميزرز : (يبتسم لفكرة جالت بخاطره) ليس فيهم أى رمـــق ، وستتبين ذلك . (يغير الموضوع فجأة) أما عن كسرى للقانون ، فانك تكسر القوانين بالسرعة التى تقوم فيها بســـنها .

جـــونز : ألست أنا الامبراطور ؟ ان القوانين لا تسرى على (في تعقل) اسمع ما أقوله لك ، ياسميزرز . هناك سرقة صغيرة ، كما تفعل أنت ، وهناك سرقة كبيرة ، كما

عملك الحقير من باب العطف في ذلك الوقت . . لقــد كنت أقوم بأعمال قذرة لحسابك — كذلك الاعمال التى تتطلب قدرة ذهنية — ولهذا كنت استحق ما تدفع لى من نقــود .

سميزرز : ايه ، والله ، أخذت بيدك في البداية ، أنسيت ذلك ؟ بينما لم يفعل غيرى اى شيء من هذا . لم أكن أخشى مثلهم ان تشتغل لى بأجر — بسبب القصة التى راجت حول هربك من السجن في الولايات المتحدة .

جــونز : لم يكن هناك مبرر لأن تنظر لى شذرا من أجل هذا . لقد سجنت أنت أكثر من مرة .

سميزرز : (في غضب عنيف) هذا كذب ! (محاولا استبعاد هذه المسألة باتخاذ نبرة ازدراء) هراء ! من قال لك هــذه الحكاية الخرافية . ؟

جــونز : هناك أشياء لا داعى لأن يذكرها لى أحد . يمكننى ان ألاحظها في أعين الآخرين . (ثم بعد فترة صمت . . ثم في تأمــل) فعــلا ، لقــد أخذت بيدى منــذ البــداية . ولم آخذ وقتا طويلا حتى أجعل هؤلاء الزنوج البلهاء يفعلون ما أريد (بزهو) من مسافر يندس في القطار هربا من دفع الأجرة إلى امبراطور في عامين ! ياله من انجاز عظيم !

سميزرز : (في لهفة) أراهن بأنك قد أخفيت نقودك فيمكان آمن .

جــونز : (في رضا) فعلا . لقد وضعتها في مصرف أجنبي لاتمتد اليه يد أى شخص سواى ، مهما كان الأمر . أتظن اننى

يا الهى ، ألم تكن هذه خدعة ، وضربة حظ كبير واضح للعيـــان .

جـــونز : (بكبرياء) لدى عقل استخدمته بسرعة . ليس هذا بحظ .

سميزرز : أنت تعلم انه كان في امكانهم الحصول على رصاصـــة فضية ، ومن حظك انه لم يصبك تلك المرة .

جـــونز : (ضاحكا) وهكذا سجد هؤلاء الزنوج المغفلين كما لو انى معجزة من معجزات الكتاب المقدس . يا الهى ، منذ ذلك الوقت وكلهم يعتمدون في حياتهم عليّ . كنت اقرع السوط ، فيهبوا منفذين لأوامرى .

سميزرز : (باستهزاء) انها خدعة امريكية .

جـــونز : الكلام الكبير يجعل الانسان كبيرا — طالمـــا اقتنع الناس به ، أليس كذلك ؟ بالتأكيد انى ألجأ للكلام الاجوف اذا أوعزنى منطق يستند عليه ، وان كان هذا لا يعنى انى أقول كلاما متهورا . انى أعرف انه في امكانى خداعهم — ادرك هذا — وهذا سند كبير للعبة التى أمضيتها هنا ، على الرغم من معرفتك بان هذا يعنى مالا يتدفق في جيبك اذا تعلمت لغتهم . لكنك كنت عـــديم الحيلة لدرجة أنك لم تكلف نفسك مشقة ذلك .

سميزرز : (متحمسا) دعك منى . ما هذا الذى سمعته عن الرصاصة الفضية التى صنعتها بنفسك ؟

جـــونز : انها جانب من الخدعة ؟ لقد صنعت هذه الرصاصـــة الفضية وأخبرتهم بأنه حينما يحين الوقت سأقتل نفسى بها ذلك لاننى انا وحدى لدى القوة لأضع حدا لحياتى .

أفعل أنا . من أجل السرقة الصغيرة يزج بك في السجن إن آجلا او عاجلا . أما من أجل السرقة الكبيرة فانهـــم يجعلونك امبراطورا ، ويضعونك في قائمة المشاهير عندما تصير سارقا أو نصابا (متذكرا المـــاضى) ان هـــذه هى الحقيقة الوحيدة التى تعلمتها من عملى كحمال في عربات البولمـــان لمدة عشر سنوات . وعندما واتتنى الفرصة استخدمتها وصعدت الى وظيفة امبراطور في ســـنتين .

سميزرز : (عاجزا على كبت اعجابه الحقيقى به ، اعجاب السمك الصغير بالسمك الكبير) نعم ، لقد استخدمت الخـــدعة تمـــاما . يا الهى ، لم أر شخصا كان له مثل حظك .

جـــونز : (بعنف) حظ ؟ ماذا تعنى . . بالحظ ؟

سميزرز : أظنك تنكر بأن هذه الخدعة المتعلقة بالرصاصة الفضية لم تكن حظا — وهذه هى أول شيء جمع الزنوج في صفك ايام الثورة ، أليس كذلك ؟

جـــونز : (ضاحكا) أوه ، تلك الرصاصة الفضية ! بالتأكيد كانت ضربة حظ ، لكننى أنا الذى صنعته ، أليس كذلك ؟ انى أنا الذى ألقيت الزهر ! نعم انا ، عندما أقبل ذلك الزنجى الذى استأجروه لقتلى وصوب رصاصة على بعد عشر أقدام منى وأخطأت الطلقة ، وأرديتـــه قتيلا ، ماذا قلت وقتذاك ؟

سميزرز : لقد قلت ان لديك تعويذة تحميك من أى رصاصةوقلت لهم انك قوى ، لدرجة لاتقتلك الا رصاصة فضية .

قصير . . أكنت تظن انني سأتمسك بهذه الوظيفة طيلة حياتي ؟ كلا ، بالتأكيد ما فائدة الحصول على المال اذا بقي الانسان في هذا البلد الوعر ؟ اني أريد أن أتحرك وأعمل عندما اصرف هذا المال . وعندما ارى هؤلاء الزنوج يهمون للتخلص مني ؛ وعندما اضع يدي على كل المال ، فانني استقيل على الفور وأرحل على وجه السرعة .

سميزرز : والى اين ؟

جونز : لا شأن لك بهذا .

سميزرز : أقسم انك لن تذهب الى الولايات المتحدة ، هذه البلاد الفظيعة .

جونز : (في ريبة) ولم لا ؟ (ثم بضحكة خفيفة) تعني بسبب قصة هروبي من السجن ؟ ذلك كله مجرد كلام .

سميزرز : (في ارتياب) هو ، فعلا !

جونز : (بحدة) في كلامك تلميح بأنني كذاب ، أليس كذلك ؟

سميزرز : (بسرعة) كلا وليلعنني الله اذا كنت أقصد ذلك ! كنت فقط افكر في الأكاذيب الفظيعة التي قلتها للزنوج حول قتل الرجال البيض في الولايات المتحدة .

جونز : (غاضبا) ومن أدراك انها أكاذيب !

سميزرز . لو كنت فعلت هذا لكنت الآن في السجن ، أليس كذلك ؟ (في حقد) ومما سمعت ، انه لمن العسير على زنجي ان يقتل رجلا ابيض في الولايات المتحدة .

فلا داع اذن بأن يحاولوا . عندئذ يسجدون خشـــوعا . (يضحك) انني أفعل هذا حتى أسير في سلام دون ان أتعرض لطلقة من الخلف من أحد الزنوج الحقودين .

سميزرز : (مندهشا) اذن ، انت صنعتها ـ حقا ؟

جـــونز : فعلا : ها هي ذي (يخرج مسدسه ، ويفتحه ويخـــرج الرصاص) خمس طلقات من الرصاص وهذه الأخيرة الرصاصة الفضية . أليست بديعة ؟ (يمسكها في يده ؟ وهو يتأملها في اعجاب كما لو انه افتتن بها) .

سميزرز : دعني أراها . (يمـــد يده نحوها)

جـــونز : (في عنف) ابعد يديك أيها الرجل الابيض .

(يعيدها الى المسدس الذى يضعه في جرابه)

سميزرز : (مزمجرا) أوه ، أوه ، أتظن أنى سأسرقها ، أتظن ذلك ؟

جـــونز : كلا ، لا أظن ذلك . انني أعرف انك تخشى ان تسرق منى . فقط لا أريد أى شخص ان يلمس طلقتي العزيزة ! انها تجلب لى الحظ الحسن .

سميزرز : (في سخرية) أهي تعويذة عظيمة ؟ (في حقد) ايه ، انك في حاجة لكل التعاويذ قبل انقضاء وقت كبير !

جـــونز : (في تعقل) أوه ، انني أتوقع ستة أشهر قبل أن يسأموا من لعبتي عندئذ ، عندما ادرك اقتراب المتاعب ، سأترك هذه البلاد .

سميزرز : أوه ! اذن لقد رتبت كل شيء ، أليس كذلك ؟

جـــونز : انني لست أبلها . انني أدرك ان وقت العمل للامبراطور

سميزرز : (مستعيدا رباطة جأشـــه — وبالتالى حقده) ولكى ابين لك انني صديقك سأروى لك الاشياء التى كنت على وشك ان افضى بها اليك .

جـــونز : هيا ، قل ! لابد أنها انبـــاء سيئة من النظرة السعيدة التى تبدو على وجهك .

سميزرز : (محذرا) ربما آن الأوان بأن تستقيل — ومعك تلك الرصاصة الفضية العظيمة ؟ (ينهى جملته بسخرية) .

جـــونز : (متحيرا) ماذا تقول ؟ تكلم بوضوح !

سميزرز : هل لاحظت أحدا من الحرس او الخدم حول القصر ؟ انني لم ار احدا

جـــونز : (بعدم اكتراث) انهم جميعا نائمون في الحديقة تحت الاشجار . عندما أنام ، فانهم يختلسون بعض الوقت للنوم ، وأنا أتظاهر بعدم الشك في تصرفاتهم . وكل ما عساى أن أفعله هو دق الجرس ، وعندئذ يهـــرعون الى وهم يتظاهرون بأنهم كانوا مستيقظين طوال الوقت .

سميزرز : (في نفس اللهجة الساخرة) دق الجرس الآن ، وسترى تمـــاما ما أعنى .

جـــونز : (متنبها ، وان كان لا يزال يحتفظ بنفس لهجة عـــدم الاكتراث) فعلا سأدق الجرس .

(تمتد يده أسفل كرسى العرش ، ويسحب جرســـا قرمزيا اللون ، لونه كلون كرسى العرش . يدقه بعنف — ثم ينتصت ثم يتجه الى كلا البابين . ثم يدقه ثانيـــة ، وينظر حواليـــه) .

انهم يحرقونهم في الزيت ، أليس كذلك ؟

جـــونز : (ببرود قاتل) أتعني أني اخشى انهم سيبطشون بى ؟ حسن ، ياسميزرز ، دعني أقول لك انه قد اكـــون قتلت رجلا ابيض هناك ربما . وربما سأقتل رجلا آخر أمامي الآن اذا لم يكن على حـــذر .

سميزرز : (يحاول ان يغتصب ضحكة) انني فقط كنت اداعبك . ألا تتقبل المزاح ؟ وانت كنت تقول انك لم تدخـــل السجن فقط .

جـــونز : (بنفس اللهجة ــ وان كان بها قليل من المباهاة) ربمـــا أكون دخلت السجن لمشادة في أثناء لعب النرد استخدمت فيها شفرات الحلاقة ربما حكم على بعشرين سنة سجن عندما مات هذا الشخص . وربما تطورت في مشـــادة مع حارس السجن وملاحظ الانفار عندما كنا نعمل في الطرق . ربما ضربني بالسوط وأنا شججت رأســـه بالجاروف ــ وهربت بعد ان تخلصت من الاغلال ورحلت الى مكان آمن . ربما فعلت هذا ، وربما لم أفعل. انها قصة أحكيها لك لتعرف انني صنف من الناس اذا عرف انك افشيت كلمة واحدة ممـــا قلت ، فســـأضع نهاية لكل سرقاتك على هذه الارض ، وعلى جنـــاح السرعة !

سميزرز : (فزعا) أتظن انى سأبلغ عنك ؟ لست أنا ! ألم أكن لك على الدوام صديقا وفيـــا ؟

جـــونز : (فجأة يشعر بشيء من الارتياح) فعلا لقد كنت صديقا ــ ويحسن ان تظل كذلك .

جــونز : (منزعج لحظة ، ثم «يهرش» رأســه ، ثم يقول بلهجة فلسفية) حسن سأسير على قدمى ، اذن . أيتها القدمان ، قوما بواجبكما (يخرج ساعة ذهبية وينظر اليها) الساعة الآن الثالثة والنصف . (يعيد ساعته — ثم بهدوء وثقة) لدى وقت كاف لأن يمــر كل شيء بسلام .

سميزرز : لا تكن واثقا بهذا الشكل . سيطاردونك بعنف وشده . ان ليم العجوز وراء هذه المسألة وهو يكرهك كراهيته للجحيم . انه يفضل أذيتك عن تناول طعامه ، هــذا شعوره بالفعل ؟

جــونز : (باحتقار) هذا الزنجى المغفل ! أتعتقد أنى أخشــاه ؟ لقد طرحته ارضا أكثر من مرة ، وسأفعل ذلك ثانيــة اذا اعترض طريقى . . . (بعنف) وهذه المرة سأقتله بكل تأكيد . .

سيمزرز : عليك اختراق الغابة الكبيرة . . وهؤلاء الزنوج يمكنهم اقتفاء الاثر في الظلام وكأنهم كلاب صيد . . عليك ان تندفع بقوة وهمة حتى تخترق هذه الغابة في اثنــا عشر ساعة ، حتى وان كنت تعرف كل دروبها ، كما يعرفها أهل الجــزيرة .

جــونز : (بازدراء وغضب) اسمع ، أيها الرجل الابيض ! هل تظن انى ولدت أبلها ؟ اعترف بمــا لدى من حســن الادراك ، بربك ! الا تظن انى لم أتوقع هذا وأتأكد من كل الفرص ؟ لقد ذهبت الى تلك الغابة متظاهــرا بالصيد ، ذهب مرارا حتى أننى أعرفها تمــاما كما لو أنها كتاب مفتوح . يمكننى ان أسير عبر هذه الدروب

سميزرز : (الذى كان يراقبه بشماته . . ثم بعد فترة يقول في سخرية) بينما السفينة اللعينة تغرق ، يهرب الجـــرذان الملعونين .

جـــونز : (في نوبة مفاجئة من الغضب يلقى بالجرس في احـــد الاركان فيسقط محدثا فرقعة) هؤلاء الزنوج القذرون ! (ثم يضبط مشاعره عندما يلاحظ مراقبة سميزرز ، وفجأة ينفجر في قهقهة) لقد قامرت أكثر ممـــا ينبغى ، هذه المرة . ولا يمكن للانسان أن ينجح على الدوام دون امكانيات كافية . . هل قلت انني سأبقى ستة أشهر ؟ حسن ؟ لقد غيرت رأيي . انني استسلم وأستقيل من وظيفة الامبراطور هذه اللحظة تمـــاما .

سميزرز : (باعجاب صادق) يا إلهى ، انك حقا شخص قـــوى الاعصاب .

جـــونز : لا داعى للجلبة . عندما اعرف ان اللعبة انتهت أقـــول وداعا دون توان . لقد هرعوا جميعا الى التلال ، أليس كذلك ؟

سميزرز : نعم . . . كل رجل منهم دون استثناء .

جـــونز : اذن لقد نشبت الثورة ، ويحسن على الامبراطور ان يخلى الطريق (يتجه نحو البـــاب الخلفى) .

سميزرز : هل أنت ذاهب للبحث عن حصانك ؟ لن تجده . ان اول شيء فعلوه هو سرقة كل الخيول . . لقد سرقوا حصانى ، وعندما لم أجده هذا الصباح أثار في نفسى أول شـــعور بالشك بمـــا حدث .

سوف تضرب نفسك بأسلوب جديد ، أليس كذلك ؟
يا إلهي ! .

جـــونز : (بكآبة) يمكنك ان تراهن بكل نقودك على شيء واحد ، أيها الرجل الأبيض . . ان هذا الرجل الذى أمامك يلعب خيوطه للنهاية ، وعندما يرحل ، يرحل محدثا الفرقعـــة المناسبة . ان الرصاصة الفضية تفي بالغرض عندما يرحل هذه هي الحقيقة ! (ثم يتخلص من عصبيته — ويضحك في ثقة) بالتأكيد ما الذى أتحدث عنه ؟ ان الأمر لم يصل الى هذا الحد بعد . ولن يصل أبدا . . ليس مع هـــؤلاء الزنوج التافهين (في زهو) ان الرصاصة الفضية تجلب لى الحظ ، على أية حال في استطاعتى ان أتفوق عليهم في التخمين ، والعدو ، والقتال ، وفي استطاعتى ان أهزمهم جميعا في الحلبة في أى وقت من الليل او النهار ! فقط راقب ما أفعل !

(من التلال البعيدة تأتى دقات الطبول خافته ، منتظمة . تبدأ بمعدل نبض القلب العادى . . اثنتان وسبعون في الدقيقة . . وتستمر في ازدياد تدريجى من هذه اللحظة دون انقطاع حتى نهاية المسرحية) .

جـــونز : (يفزع لهذا الصوت . تزحف الى وجهه نظرة غريبـــة لبرهة . ثم عندما يصغى . . ثم يسأل ، محاولا اســـتعادة رباطة جأشـــه) لمـــاذا يدقون الطبول ؟

سميزرز : (بضحكة فاترة خبيثة) يدقونها لك . . إذن هذا يعنى أن الحفل الدامي قد بدأ . لقـــد سمعت هذا من قبل وأعرفه جيداً .

وأنا مغمض العينين . (باحتقار كبير) أتظن أن هؤلاء الزنوج الجهلة الذين ليس لديهم ادراك حتى لمعـــرفة اسمائهم . . أتظن أنهم سيلحقون ببروتس جونز ؟ هه ، لا أعتقد ذلك ، بكل تأكيد إن الرجال البيض في بلدى يارجل ، طاردونى ككلاب الصيد الجامحة ، فسخرت منهم ولم ينالوا منى شيئا . . انه لمن المخجل أن أخـــدع هؤلاء الزنوج هنا ، لأن خداعهم ميسور للغاية . فقط راقبنى ، يارجل . أعدك بأننى سأدوخهم . ســأخترق السهل حتى أصل الى حافة الغابة قبل ان يحل الظلام . وبمجرد دخولى الغابة في الليل ، فلن تكون عندهم اى فرصة للعثور على ! وغدا في الفجر سأكون في الجانب الآخر ، وعلى الساحل سأجد زورقا بحريا فرنسيا رابضا هناك ، سيلتقطنى ويذهب بى الى جـــزر المـــارتينيك وهناك أكون في مأمن ومعى مبلغ هائل من المـــال . ان الأمر ميسور كما لو أنك تدحرج كتلة من الخشب .

سميزرز : (في خبث) ولكن لنفرض ان خطأ ما حدث ، وقبضوا عليك ؟

جـــونز : (في عزم) لن يقبضوا على . . هذا هو الجواب .

سميزرز : لنفرض جدلا . . . عندئذ ماذا تفعل ؟

جـــونز : (متجهما) لدى خمس رصاصات في هذا المســـدس تكفى لهؤلاء الزنوج . . بعد هذا لدى الرصاصة الفضية أخدعهم بها حتى لا ينالوا منى .

سميزرز : (في سخرية) أوه ، لقد نسيت الرصاصة الفضيـــة . .

النساء ؟ إذهب ، أيها الرجل الأبيض ! إن ما تقوله لا يعنيني (يقهقه) ألا تدري أن عليهم أن يواجهوا رجلاً كان عضواً مهماً في كنيسة يوحنا المعمدان ؟ لقد كنت كذلك بالفعل عندما كنت أعمل حمالاً في عربات البولمان وقبل أن أتورط في متاعبي الصغيرة ، دعهم يجربون حيلهم الوثنية . إن الكنيسة ستحميني وتلقي بهم في الجحيم . (ثم برضا وثقة) ولا تنسى أن معي هذه الرصاصة الفضية الصغيرة .

سيمزرز : هو ! إنك لم تهتم كثيراً بالكنيسة منذ أن جئت إلى هنا . . لقد تأكدت بنفسي بأنك أصبحت مرتداً ، وانهمكت مع السحرة والعرافين وما شابههم .

جونز : (بحماسة) لقد كنت أتظاهر . . أتظاهر فعلاً ! لقد كان هذا جانباً من اللعبة منذ البداية . إذا ما وجدت أن هؤلاء الزنوج — يعتقدون أن الأسود أبيض فإنني أصيح بصوت أعلى من أصواتهم بأنه كذلك . لن يفيدني بشيء أن أعمل مبشراً لكنيسة يوحنا المعمدان . إنني أسعى وراء المال ، وكذا فإنني لن أهتم بالدين في الوقت الحاضر . (يتوقف فجأة لينظر لساعته . ثم بانتباه) لكن ليس لدي وقت أضيعه في الثرثرة معك . سأرحل من هنا هذه اللحظة . (يمد يده تحت العرش ويسحب قبعة بناما غالية الثمن ، لها شريط متعدد الألوان ، ثم يضعها في تأنق على رأسه) وداعاً ، أيها الرجل الأبيض . (ببسمة فاترة) أتمنى أن أراك في السجن يوماً ما ! .

سميزرز : لست أنا . . لن تراني هناك . ايه ، لن أود في هذه

جــونز : حفل ؟ أي حفل ؟

سميزرز : ان الزنوج يعقدون اجتماعاً دامياً ، يرقصون فيـــه رقصةالحرب ، ويثيرون حميتهم قبل البدء في مطاردتك

جــونز : دعهم يفعلون ! إنهم بالتأكيد في حاجة إلى من يثير حميتهم .

سميزرز : وهم هناك يقومون بصلاتهم الوثنية . . وهم لا يألون جهداً في إثارة كل الطلاسم والتعاويذ لتساعدهم ضد رصاصتك الفضية (بقهقهة بصوت عال) يا إلهـــي ، لكنهم أيضاً أغبياء . .

جــونز : (خائفاً بعض الشيء ويرتعد رغماً عنه) ها ! إن هذا لا يخيفني !

سميزرز : (يحس بخوف جونز – ويقول في خبث) هذا المساء عندما يكون الظلام حالكاً في الغابة ، سيطلقون في أثرك شياطينهم وأشباحهم وسيقف شعر رأسك قبل أن يطلع الصباح ، (في نبرة جادة) إن هذه الغابة القذرة مكان غريب جداً ، حتى في وضح النهار . . لا تدرى ما قد يحدث هناك ، في هذا السكون الفظيع . انها دائماً تثير في نفسي الخوف بمجرد أن أضع قدمي بها .

جــونز : (باستهزاء) إنني لست جباناً مثلك . إنني والأشجار أصدقاء ، وهذا البدر سيمدني بالنور . دع هؤلاء الزنوج المساكين يقومون بكل ما يحلو لهم من تعاويذ . . هل تتوقع بأنني من البلاهة بمكان حتى أؤمن بالأشبـــاح والعفاريت وما شابه ذلك مما تتحدث به العجائز من

هؤلاء الزنوج ؟ إنني لا زلت الامبراطور ! والامبراطور جونز سيغادر المكان من الباب الذي دخل منه ، ولن يجرؤ الزنوج التافهون على منعه . . ليس الآن ، على الأقل . (يتوقف لحظة في المدخل ، وهو ينصت إلى دقات الطبول البعيدة المستمرة) إسمع هذه الدقات . . لا بد أنها طبلة ضخمة التى تدوي من بعيد (ثم يضحك) حسن ، إذا لم يستخدموا فرقة نحاسية لتوديعى ، فسأكتفى بدقات الطبول . وداعاً ، أيها الرجل الأبيض. (يضع يديه في جيبه ، بعدم مبالاة متكلفة ، ويصفر لحناً بينما يتهادى خارج المدخل متجهاً بعيداً إلى اليسار) .

سميزرز : (ينظر إليه في حيرة وإعجاب) يالقوة أعصابه ! (ثم في غضب) هو — هذا الزنجي الفظيع — ها قد ركبه الغرور المعتاد ! أتمنى أن يقبضوا عليه ويجازونه على ما فعل ! (ثم ينظر حواليه في جشع ، مفضلاً الناحية العملية على التمادى في هذه الخواطر) يمكن للواحد أن يجد أشياء كثيرة في هذا القصر لها قيمة مالية كبيرة . دعنى أنظر ، هيا .

(يهم نحو المدخل جهة اليمين ، عندما يسدل الستار)

اللحظة أن أكون في موقفك مهما كان المـــال الذي سأحصل عليه . لكنى أتمنى لك نفس الحظ !

جـــونز : (في احتقار) إنك أجبن رجل رأيته في حياتي . إنني أؤكد لك بأنني في مأمن ، كما لو أنني في مدينة نيويورك . إن الزنوج هنا يلزمهم من الآن للمساء حتى يتمالكوا أعصابهم للبدء في عمل شيء ما ، وقبل أن يحل ذلك الوقت سأكون قد سبقتهم ، وحينئذ لن يستطيعـــوا اللحاق بـــي .

سميزرز : (في خبث) تحياتي للاشباح التى ستقابلها .

جـــونز : (مبتسماً في سخرية) إذا كان مع الشبح مال فسأحذره منك .

سميزرز : (معتبراً هذا إطراء) ياه ! (ثم في لهفة) ألا تأخـــذ معك بعض الحقائب ؟

جـــونز : للتحرك بسرعة علي أن أحمل ما خف وزنه . لدي بعض المأكولات مدفونة عند الغابة (في زهو) اعترف الآن بأنني أعمل حساب المستقبل واستخدام عقلي ! . (بحركة واسعة سريعة) سأترك لك كل ما بالقصر . . ويحسن أن تستولي على كل شيء يمكنك أن تختلسه قبل أن يأتوا إلى هنا .

سميزرز : (ممتناً) حسن . . وشكراً لك (بينما يتجه جونز نحو الباب الخلفى – يقول في حذر) اسمع ! لن تخرج من هذا الباب ، أليس كذلك ؟

جـــونز : أتظن أننى سأتسلل من الباب الخلفى كأى واحد مـــن

وجهه) أوه ، أريد بعض الهواء ! إنني فعـــلاً منهوك القوى ! إن مهنة الامبراطور ، بما فيها من رفاهية ، لم تمكنى من السير لمسافات طويلة عبر هذا السهل في وهج الشمس (ثم يقهقه) تشجع ، أيها الزنجي ، فما خفى كان أعظم (يرفع رأسه ويحملق في الغابة . ثم تتوقف قهقهته فجأة . وفي صوت ينم على الرهبة يقول) يـــا إلهى ، أنظر إلى هذه الغابة ، هلا فعلت !؟ إن هذا التافه سميزرز أشار إلى الظلام الذي يكتنفها والذي يثير الفزع . (يدير نظره بعيداً ، وينظر إلى قدميه ، وهو ينتزع فرصة لتغيير الموضوع - ثم يقول في قلق) أيتها القدمان ، إنكما تؤديان عملكما على خير وجه ، وأرجو ألا تتورمان من كثرة الفقافيق . آن الأوان لتأخذا قسطاً من الراحة (يخلع حذاءه ، وهو يتفادى النظر إلى الغابة . ثم يتحسس بطن قدمه بحرص) إنكما على مايرام ، اللهم الا بعض السخونه . ان تهوية قليلـــة تزيلها . تذكرا أن أمامكما رحلة طويلة . (يجلس في ارهاق ، وهو ينصت الى دقات طبول التوم توم الرتيبة . ثم يزمجر في صوت عال ليخفى قلقه المتزايد) أوه ، يازنوج الغابة ! انى دهش لأنهم لا يملون سماع دقات هذه الطبول يبدو ان الصوت يرتفع شيئا شيئا . ربمـــا قد بدأوا البحث عنى ؟ (ينهض على قدميه ، وهو ينظر حواليه عبر السهل) لا استطيع رؤيتهم ، حتى ولو كانوا على بعد مائة قدم (ثم يهـــز نفسه كما لو انه كلب مبلل يريد ان ينفض عنه ذهنه افكارا مقبضه) بالتأكيد ، انهم على بعد أميال وأميال . اذن ؟ لمـــاذا هذا الانزعاج ؟

المشـهد الثـاني

(نهاية أرض سهلة وبداية الغابة الكبيرة . تبدو الأرض في مقدمة المسرح رملية مستوية تتناثر فيها بعض الأشجار والشجريات القصيرة التى تشابكت قريبـاً من الأرض لتتفادى عصف الريـاح التجارية . وفي مؤخرة المسرح حائط من الظلام يكون حداً فاصلاً فقط عندما تعتاد العين هـذه الظلمة يمكن ملاحظـة ظلال جذوع الأشجار ، الأكثر قرباً ، وكأنها أعمدة ضخمة من الظلام المتكاثف . وتتردد في الهواء على شكل أنين نغمة كئيبة رتيبة للريح وهي تفقـد حدتها بين أوراق الأشجار . إلا أن هذا الصوت قد ساعد عـلى تقوية الانطباع بجمود الغابة الذي لا يلين ، كما كون خلفية أبرزت ذاك السكون المخيم على المكان دون هوادة .

يدخل جونز من جهة الشمال ، وهو يمشى بسرعة . ثم يقف عندما يقترب من حافة الغابة ، وينظر حواليه بسرعة ، وهو يحدق النظر في الظلام ، كما لو أنه يبحث عن علامة مميزة مألوفة لديه . ثم عندما يبدو مقتنعاً بأن هذا هو المكان الذي يسعى إليه ، يلقى بنفسه على الأرض ، وهو منهوك القوى) .

جـونز : ايه ، هأنذا ! وفي الوقت المناسب ، كذلك ! أيهـا القمر الصغير ! ستصير الظلمة في هذا المكان أشد من النقطة السوداء في آس ورق اللعب . (يخرج منديلاً كبيراً من جيب بنطلونه ، ويجفف العرق من على

كان يفعل ذلك ثم يتمتم في حيرة) كيف أتت كل هذه الحجارة البيضاء ، في الوقت الذى لا أتذكر منها الا واحدا فقط (فجأة ، وفي نوبة فزع يلقى بعود الثقاب على الارض ويدوس عليه) أيها الزنجى ، أجننت ؟ اتشعل الثقاب حتى يرون مكانك ؟ بالله ، كن عاقلا . يا الهى ، يجب ان أكون حذرا ! (يحملق في السهل في فزع ، ويده على مسدسه) ولكن ، كيف اتت كل هذه الحجارة البيضاء ؟ وأين ذلك الصندوق الصفيح الذى كنت قد أخفيته بعد ان لففته بقطعة من القماش ؟ (وعندما يستدير بظهره تزحف مخاوف صغيرة من الظلام المتكاثف في الغابة ، انها سوداء ، لا شكل لهـــا ، لا يرى منها سوى عيونها الصغيرة المتلألئة . واذ كان ولا بد من وصفها فهى أشبه بديدان على شكل اطفال تحبو . انها تتحرك دون ان تحدث صوتا ما ، ولكنهـــا تبذل جهدا مضنيا في محاولة لترتفع عن الارض ، فتفشل ، ثم تخر على وجهها من جديد . أما جـــونز فيستدير ليواجه الغابة ، ويحملق في قمم الاشجار ، ويحاول عبثا ان يتبين المكان الموجود فيه) ان هذه الاشجار لاتدلنى على شيء ! يا إلهى ، لا شيء من حولى يبدو وكأننى رأيته من قبل . لقد ضللت طريقى بكل تأكيد ! (في حزن وتشاؤم من المستقبل) انه لأمـــر غريب جدا ! انه لأمر غريب جدا ! (ثم في تحد مفاجيء متكلف — وفي نبرة غضب) أيتها الغابة ، أتريدين اثارة الفزع في نفسى ؟ (وتصدر عن المخلوقات التى لاشكل لها والجاثمة على الارض امامه نسمة من الضحك الساخر

(يجلس ويأخذ في ارتداء حذائه على عجل ، وطـوال الوقت يتمتم بكلمات مشجعا نفسه) أتعرف ماذا ؟ ان بطنك خاوية ، هذا كل مافي الأمر ! حان وقت الطعام ! بالطبع لابد ان يشعر الانسان بالخوار اذا كانت معـدته خاوية ! خاوية الا من الهواء ! ايه ، سآكل هنا بمجرد الانتهاء من ارتداء هذا الحذاء اللعين ! (ينتهى من ربط حذائه) والآن ، دعنا نرى ! (يزحف على يديه وقدميه ، وعيناه تبحثان عن شيء) ايها الحجر الابيض ، ايهـا الحجر الابيض ، اين انت ؟ يا صندوق الطعام ؟ (يقلب الحجر ويتحسس تحته — ثم يتكلم في نبرة تنم على الخيبة) ليس هنا ! يا إلهى ، أليس هذا هو المكان الصحيح ؟ هناك حجر آخر . اظن انه ذاك الحجر (يهرول نحـو الحجر التالى ويقلبه) ليس هنا ، ايضا ! أيها الطعام ، أين انت ؟ ليس هنا ! يا إلهى ! هل أمكث طوال الليل جوعان في هذه الغابة ؟ (بينما هو يتحدث ، يهرول من حجر الى آخر ، ويقلب كل منها في عجلة محمومة . وأخيرا ينهض على قدميه في انفعال) هل ظللت الطريق ؟ لابد أن الامر كذلك ! ولكن كيف حدث هذا وقـد تابعت الدرب عبر السهل وفي وضح النهار ! (في شيء من الحزن) انني جوعان ! لابد لى من طعام . كيف استعيد قواى بدون طعام ؟ ياه ، لابد أن أجد صندوق الطعام في مكان ما ، هنا أو هناك ! لمـاذا أقبل الظلام بهذه السرعة ؟ انني لا استطيع رؤية اى شيء ! (يشعل عـود الثقاب بحكه في بنطلونه ثم يحدق النظر حواليه . تزداد ضربات الطبول شـدة بشكل ملحوظ عندما

الخفيض وكأنها حفيف الاشجار . ثم تحوم هذه حـــوله في حركات ملتوية فينظر جونز اليها ، ويقفز الى الخلف وهو يصيح فزعا ، وقد أخرج مسدســـه ، قائلا في صوت مرتعد) ما هذا ؟ ما هذا ؟ ومن انتم ؟ ابتعدوا عنى ، والا اطلقت النار ! انتم لاتتحركون ! (يطلق النار . هناك ومضة ، وصوت عال . ثم سكون لايقطعه الاصوت دقـــات الطبول الآتى من بعيد والذى يزداد عنفا . عندئذ تهـــرول الاشباح عائدة الى الغابة ، ويقف جونز جامدا في مكانه يصغى بانتباه . ان صوت الطلقة ، والمسدس في يده اعادا اليه رباطة الجأش . وأخذ يخاطب نفسه : بعد ان استعاد ثقة النفس) لقد مضوا ! ان تلك الطلقة كانت فعالة بالنسبة لهم ! انهم لم يكونوا ســـوى حيوانات صغيرة . خنازير برية صغيرة ، على ما أظن . ربمـــا انتزعت الطعام الذى أخفيته وأكلته بالتأكيد ، ايها الزنجى الأبله ، لابد أنها فعلت ذلك — أتظن انهـــا اشباح ؟ (بانفعال) يا الهى ، لقد أضعت هذه الرصاصة هباء . لابد ان هؤلاء الزنوج قد سمعوا هذه الطلقة . آن الأوان ان انطلق في الغابة دون انتظار (يهم نحـــو الغابة — يتردد قليلا قبل ان ينطلق ثم يستحث نفسه بعزم رجولى) هيا ، أيها الزنجى ! ما الذى يفزعك ! ليس هناك سوى الاشجار ! هيا ! (ينطلق بجرأة بين أشجار الغـــابة) .

فصاعدا ستكون قويا ويقظا (يتقدم الى خلف المساحة الخالية المثلثة الشكل ، ويجفف وجهه بكمه . لقد فقد قبعته ، وهناك بعض الخدوش على وجهه ، كما ان زيه اللامع بدا ممزقا في بضعة مواضع) ياترى ، كم الساعة الآن ؟ لن اشعل اى ثقاب الآن ! ان الجو حار فعلا (في اعياء) الى متى أظل سائرا في هذه الغابة ؟ لقد مضت ساعات ، وساعات كأنها الأبدية ! لكن لا يمكن ان يكون هذا صحيحا ، فالقمر قد طلع على التو . أمامك يا صاحب الجلالة ليل طويل (يقهقه في كآبة) يا صاحب الجلالة لم تعد لك جلالة الآن (يحاول ان يتشجع) لا تبال . . ان كل هذا جزء من اللعبة. ستمضى هذه الليلة كما يمضى كل شيء ، وعندما تصل الى بر السلامة ومعك اوراق النقد ستضحك على كل هذا (يأخذ في الصفير ، ولكنه يتوقف فجأة) ايها الابله ، لماذا تصفر ؟ اتريد أن يسمعك الجميع ؟ (يتوقف عن الكلام لينصت) اتسمع هذه الطبلة ؟ انها تقترب ! انهم يقتربون . آن الاوان ان أتحرك . (يتقدم خطوة الى الامام ، ثم يتوقف — ويقول في قلق) ماهذا الصوت الغريب الذى اسمعه وكأن شيئا حادا يسقط على الارض ؟ ما هذا الصوت ! انه صوت قريب — صوت اشبه . . . اشبه . . . يا الهى . انه صوت اشبه بصوت زنجى يرمى الزهر ! (في فزع) لابد أن اضربه بسرعه عندما اعرف مكانه (يهم بسرعة نحو المساحة الخالية — ثم يقف مشدوها عندما يرى جيف — ويطلق شهقة فزع) من هناك ! من أنت ؟ أأنت جيف ؟ (يتقدم نحوه وقد

المشهد الثالث

(في الغابة . لقد طلع القمر منذ برهة ، وأحدثت اشعته التى انسابت عبر أوراق الشجر لمعانا غريبا لايكاد يلحظ رغم انتشاره . وفي مقدمة المسرح حائط منخفض من الشجيرات والنباتات المتسلقة يحيط على شكل ســـور مساحة صغيرة خالية مثلثة الشكل . وخلف هذا نـــرى ظلام الغابة الكثيف أشبه بحاجز محيط . ونلاحظ بصعوبة ممـــرا يؤدى الى مساحة خالية من جهة اليسار ، الى الخلف ، ثم ينحدر بعيدا جهـــة اليمين . وفي بداية المشهد لا يمكن رؤية اى شيء بوضوح . وباستثناء دقات طبول التوم توم التى تزداد علوا وشـــدة عما كانت عليه في نهاية المشهد السابق ، هناك سكون يقطعه كل ثوان صوت غريب لشيء يسقط محدثا رنه حادة على الأرض . ثم شيئا فشيئا نرى الزنجي جيف جالسا القرفصاء ، الى الخلف من المثلث . وهو رجل في متوسط العمر ، نحيل ، اسمر ، يرتدى زى حمال في عربة بولمـــان . يرمى الزهـــر على الارض امامه ، ثم يلتقطه ، ويهـــزه ثم يرميه بحركة آلية ، كما لو انه آلة اتوماتيكية ، ويسمع وقع اقدام ثقيلة تقترب عبر الطريق من الشمال ، ويسمع صوت جونز وقد ارتفع قليلا في محاولة مرحـــه للتغلب على مخاوفه) .

جـــونز : لقد طلع القمر . أتسمع هذا ، ايها الزنجي ؟ ان القمـــر يعطيك نورا كافيا ، فلن تصطدم رأسك أيها الأبله بجذوع الاشجار ، ولن تخدش الشجيرات جلد رجليك . الآن الطريق واضح أمامك . تشجع اذن ! من الآن

نسى الظروف المحيطة به ، واعتقد انه يرى انسانا حيا — وقال في نبرة تنم عن الراحة والسعادة) جيف !! انني سعيد جدا لرؤيتك ! لقد قيل لى إنك مت من جـــراء الجرح الذى اصبتك به بحد الموسى (يتوقف فجأة ، ثم في حيرة ودهشـــة) ولكن كيف اتيت الى هنا ، ايهـــا الزنجى ؟ (يحملق في انبهار نحو جيف الذى كان مستمرا في القـــاء الزهر بطريقة آلية . وتأخذ عيون جونز تحملق بطريقة محمومة ، وأخذ يتلعثم) ألا تتحرك ؟ انظر الى . . ألا تكلمنى ؟ هل أنت . . هل أنت . . شبح ؟ (يخـــرج مسدســـه في نوبه محمومة من الغضب والفزع) أيهـــا الزنجى ، لقد قتلتك مرة .. هل لى أن اقتلك مرة ثانية ؟ خذ ، اذن (يطلق الرصاص . وعندما انقشع الدخان كان جيف قد اختفى ، ووقف جونز يرتعد — ثم أخذ يتكلم في محاولة استعادة رباطة جأشـــه) لقد اختفى ، على أية حال . وســـواء أكان شبحا أم لا ، فان هـــذه الطلقة قد سوت الأمر معه . (تقترب دقات الطبـــول بشكل ملحوظ ، وتزداد شـــدة . يدرك جونز هذا ، وينظر خلفه فزعا) انهم يقتربون . انهم يقتربون بسرعة ! وهأنذا اطلق الرصاص لأدلهم على مكانى ! يا إلهى ؟ يجب أن اهرب بسرعة (والآن وقد نسى الطريق ، يندفع بعنف وسط الشجيرات الكثيفة في مؤخـــرة المسرح ، ويختفى في الظلام) .

برهة ، ينصت إلى دقات الطبول الملحة الآتية من بعيد) لا بد أن تكون هناك مسافة بيني وبينهم — ولهذا أنا أجرى كهذا — وإن كان هذا الصوت اللعين يبدو أقرب وأقرب . حسن أظن على أن أحافظ على هذه المسافة ، على أي حال . وبهذا لن يتسنى لهم اللحاق بي (يتنهد) لو أن — ساقاي اسعفتاني ! إنني حزين إذا وصل بي الأمر إلى هذا الحد . إن وظيفة إمبراطور من الصعب التخلي عنها . (ينظر حواليه في شك) كيف أتى هذا الطريق هنا ، طريق واسع جميل ، لا أذكر أني رأيته من قبل . (يهز رأسه في فزع) إن هذه الغابة مليئة بأغرب الأشياء في الليل . (يغمره فزع مفاجىء) يا إلهى ، لا تدعنى أرى هذه الأشباح ثانية ! إنهــا تثير الفزع في نفسي (ثم يخاطب نفسه مشجعــاً) أشباح ! أيها الزنجي الأبله ، مثل هذه الأشياء لا وجود لها ! ألم يقل لك القس هذا أكثر من مــرة ؟ ألست إنساناً متحضراً ، أم أنك مثل هؤلاء الزنوج الجهلاء ؟ بالتأكيد ، ان كل هذه مجرد أوهام ، لا وجود لها في الواقع . لم يكن هناك جيف ! أتعرف السبب ! إنك تتوهم هذه الأشياء لأن معدتك خاوية ، ولأنك تعاني من جوع أثر على رأسك وعينيك . ان أي أبله يعرف هذا (ثم متوسلاً في حرارة) يا إلهى ، لا تدعنى أرى شيئاً من هذا ، على أية صورة ! (ثم في حذر) أسكت لا تتكلم ! ! أسكت . أنت في حاجة إلى راحة ، بعدها تمضى في طريقك . (ينظر إلى القمر) لقد مضى أكثر من منتصف الليل ، وستصل إلى الساحل في الصباح ،

المشهد الرابع

(في الغابة . طريق واسع قذر يجرى أفقياً من يمين مقدمة المسرح إلى يسار مؤخرته . وعلى جانبى الطريق تقف الغابة وكأنها حائط . الآن القمر في كبد السماء ، وفي ضوئه يسطع الطريق بشكل رهيب لا مثيل له في الواقع ، كما لو أن الغابة قد تنحت جانباً بعض الوقت لتفسح المجال لهذا الطريق ليحقق هدفه الخفى . وعندما يتم هذا الهدف ستنطوي الغابة على نفسها من جديد ، ويختفى الطريق ، يتعثر جونز في الغابة جهة اليمين وقد بدا زيه ممزقاً إرباً إربا . ينظر حواليه وهو مبهوت من الدهشة عندما يرى الطريق ، وعيناه « تبربشان » في ضوء القمر الباهر . يلقى بنفسه في اعياء وهو يلهث بشدة ، ثم ينفجر غاضباً) .

إننى أذوب من الحرارة ! أليس لهذا الجرى من نهاية ؟ لعنة الله على هذا « الجاكيت » ! إنه يشبه الرداء الذي يلبسه المجانين ! (يمزق الجاكيت ويرميه بعيداً ، وقد بدا عارياً حتى خصره) والآن ! هذا أفضل ! الآن في إستطاعتى أن أتنفس ! (ينظر إلى قدميه ويلاحظ المهموز) وأنت أيها المهموز ، إلى الجحيم ! قد جعلتنى أتعثر وكدت أكسر رقبتى . (يفك المهموز ويرميه بعيداً في اشمئزاز) الآن قد تخلصت من هذا الزخرف الامبراطوري ، وأستطيع أن أرحل في خفة ويسر أكثر . يا إلهي ، إنى منهوك القوى ! (بعد

حاضر ، يا سيدي . نعم ، يا سيدي ، إنني قادم .

(وعندما يتحرك ، جاراً قدميه إلى المكان ، أخذ يسب ويلعن في سره وكله غضب وكراهية) .

لعنة الله عليك . . سأنتقم منك ، يوماً ما .

(وكما لو أن في يده جاروفاً يقوم جونز في اعياء بحركات آليه يخرج القاذورات ويلقى بها إلى جانب الطريق . وفجأة يقترب الحارس غاضباً ومهدداً جونز ويرفع سوطــه ويلهب ظهره فيتلوى جونز من الألم وينزوي في خنوع . وعندما يدير الحارس ظهـــره ويبتعد في احتقار ينتصب جونز واقفاً ، وبذراعين مرفوعين ، كما لو أن الجاروف عصا غليظة في يده ، يقفز محاولاً قتل الحارس الذي أخذ على حين غرة ، وفي اللحظة التى ينزل فيها الجاروف على جمجمة الرجل الأبيض ، يدرك جونز فجأة أنه لا يحمل شيئاً في يديه فيصيح في يأس) .

أين جاروفي ؟ أعطنى الجاروف حتى أشق رأس هذا الحارس اللعين ! (يستنجد بزملائه المسجونين)فليعطنى أحدكم جاروفاً ، بالله !

(يظلون في أماكنهم دون حراك ، وعيونهم عـــلى الأرض . ويبدو أن الحارس كان في حالة ترقب ، وقد أدار ظهره إلى جونز ، يزمجر جونز في غضب وفزع وينتزع مسدسه بطريقة محمومة)

سأقتلك أيها الشيطان الأبيض ، حتى ولو كانت هذه

حيث تكون في أمان .

(تدخل من الجهة اليمنى جماعة صغيرة من الزنوج ترتدي ملابس السجناء المخططة ، حليقى الرؤوس ، يعرج كل منهم لأن رجله مقيدة بسلسلة غليظة في نهايتها كرة ثقيلة من الحديد ، كما يحمل كل منهم فأساً أو جاروفاً . ويتبعهم رجل أبيض يرتدي زي حارس السجن ، على كتفه بندقية ، وفي يده سوط غليظ . وباشارة من هذا الحارس يتوقف السجناء في الطريق ، في المكان الذي يجلس فيه جونز . كان هذا يحملق في السماء غير منتبه إلى اقترابهم . . إذ لم يحدثوا صوتاً ما . إلا أنه فجأة يلمحهم فتجحظ عيناه . ويحاول النهوض والفرار ، لكنه يمكث في مكانه وقد أقعده الخوف ، وبدا صوته مختنقاً متوسلاً) .

يا إلهى ! يا يسوع !

(يلوح حارس السجن بسوطه — دون أن يحدث منه صوت ، وباشارة منه يأخذ المسجونين في العمل في الطريق فيرفع كل منهم فأسه أو جاروفه ، لكن دون أن يحدثوا أي صوت . كانت حركاتهم أشبه بحركات جيف في المشهد السابق ، أي أنها آلية ، بطيئة ، جامدة وكأنهم آلالات أتوماتيكية . يشير حارس السجن بسوطه إلى جونز في صرامه بأن يأخذ مكانه بين الآخرين . ينهض جونز على قدميه وكأنه تحت تأثير منوم مغناطيسي ويتمتم في إذعان) .

آخر لحظة في حياتي . سأقتلك سواء أكنت شبحاً أو شيطاناً !

(يخرج المسدس ويطلق الرصاص على ظهر الحارس . في الحـــال تقترب حافتا الغابـــة ، ويختفى الطريق والمسجونون وسط ظلام دامس ، ولا يسمع إلا صوت جونز وهو يقفز وسط الأحراش في فزع محموم ، ثم صوت دقات الطبول التى لا زالت بعيدة وإن إزدادت سرعة وشدة) .

عني ، يا رب ! واسكت دقات الطبول التى ترن في أذني . إن هذه الطبول مسحورة أيضاً .

(ينهض ، وقد بدا أن الدعاء قد أراحه وأعاد إليــه بعــض الطمأنينة . . ثم يحاول إستعادة الثقة في نفسه) إن الله سيحفظنى من هذه الأشباح بعد هذا (يعــاود الجلوس على جذع الشجرة) إننى لا أخشى البشر . . دعهم يقبلوا لكن الأشباح . . (يرتعد — ثم ينظر إلى قدميه وهو يحرك أصابعه داخل حذائه — ثم يزمجر من الألم) مسكينة قدماي ! إن هذا الحذاء لم تعد له فائدة إلا جرح القدم . يحسن أن أتخلص منه . (يفك الرباط ويخلع الحذاء ويحمله في يده وينظر إليه في أسى) لقد كنت مصنوعاً من جلد ممتاز . أما الآن ! أيهــا الامبراطور لقد تدهورت أحوالك لدرجة فظيعة ! (يتنهد في أسى ويظل حانى المنكبين محملقا في الحذاء وكأنه لا يريد ان يلقى به بعيدا . وبينما هو منهمك على هذا النحو ، تدخل في صمت مجموعة من الناس الى الارض الفضاء . كلهم يلبسون زى أهل الجنوب الذى كان منتشرا في خمسينيات القرن المــاضى ، انهم في منتصف العمر ، ويبدو أنهم مزارعون اثرياء . وهناك شخص انيق تبدو عليه الهيبة — اعنى الجلال — وهناك جماعة من المتفرجين معظمهم من حسان الطبقة الراقية ومن الوجهاء أتوا لسوق الرقيق من باب التسلية والفرجة . يتبادلون جميعا تحيات رقيقة وكأنهم في استعراض صامت ، وعندما يتحدثون فان حديثهم هادىء ، اما حركاتهم فخامدة ، آلية ، وغير واقعية اشــبه بالعرائس . بعد هذا يتجمعون حول جذع الشجرة . وأخيرا هناك مجموعة صغيرة من العبيد يسوقهم حارس من جهة الشمال — وهم ثلاثة رجال من مختلف الاعمار ، وامرأتان احداهما تحمل طفلا على ذراعيها ترضعه . كان وضع هؤلاء الى الجانب الايسر من جــذع الشجرة ، بجوار جــونز .

المشهد الخامس

(أرض فضاء واسعة مستديرة تحيطها جذوع ضخمة متراصة لأشجار عالية لا ترى أعاليها . وفي منتصف المسرح جذع قديم كبير تآكل عليه الزمن وبدا وكأنه منصة يقف عليها الدلال ، يغمر القمر بنوره تلك الأرض الفضاء . ويشق جونز طريقه في الغابة من جهة اليسار وينظر حواليه في فزع وحيرة . قد تمزق سرواله وبدا حذاؤه في حالة يرثى لها وقد أصبح مفرطحاً واسعاً على قدميه ، يتسلل في حذر إلى جذع الشجرة في منتصف المسرح ويجلس في حالة تحفز ، استعداداً للفرار في أية لحظة . ثم يمسك برأسه بين يديه ، ويتمايل للأمام ثم إلى الخلف وهو يرثى لنفسه في حزن وأسى) .

يا إلهي ! يا إلهى ! يا إلهى ! (ثم يركع فجأة ويرفع يديه إلى السماء متضرعاً في صوت ينم على عذاب أليم) يا إلهي ، اسمع دعائي ! إنني خاطىء مسكين ، خاطىء مسكين ! إننى أعرف أنى أخطأت — أعرف ذلك ! عندما رأيت جيف يغش الزهر استبد بي الغضب وقتلته على الفور ! يا إلهى ، لقد أخطأت وعندما ضربنى ذلك الحارس بسوطه ، غلبنى الغضب على أمرى وقتلته . يا إلهى ، لقد أخطأت ! وهنا ، عندما رفعنى هؤلاء الزنوج الحمقى إلى عرض الامبراطور الجبار ، نهبت كل ما وقع بيدي . يا إلهى ، إننى آثم ! إنني أعرف هذا ، وأشعر بالندم ! إغفر لي ، يا ربي ! إغفر لي ، أنا الآثم المسكين ! (متضرعاً في فزع) ابعدهم عني ، يا رب ! ابعدهم

والهلع) هل هذا مزاد ؟ هل تبيعونني ، كما اعتدتم ذلك قبل الحرب ؟ (يخرج مسدسه في الوقت الذى يرســو فيه المزاد على احد المزارعين . ينتقل نظره من الدلال الى الشارى) .

انت تبيعنى ؟ انت تشترينى ؟ سأثبت لكم انى زنجى حـــر . لعنه الله عليكم ! (يطلق النار على الدلال والمزارع بسرعة فائقة لدرجة ان الطلقتين تبدوان وكأنهما اطلقتا في نفس الوقت . وكأن اطلاق النار هذا بمثابة اشارة لحائطى الغابة بأن تنطبقا ، ولا يبقى سوى الظلام ، والسكون الذى يمزقه جونز وهو يندفع ويصيح من الفزع — وصوت دقات الطبول يزداد سرعة وشــدة) .

قد تفحص المزارعون هذه المجموعة من العبيد ، كما لو أنهم ماشية ، وأخذوا يقيّمون كل واحد منهم . أما الوجهاء فانهم يشيرون بأصابعهم ويطلقون ملاحظات ، في حين يتغامز الحسان بطريقةجذابة ، كل هذا في سكون اللهم الا دقات طبول التوم التوم التي تنذر بالشر .

يرفع الدلال يده ، وهو يأخذ مكانه عند جذع الشجرة ، تشخص ابصار الجماعات وتنصت . يلمس الدلال كتف جونز على الفور ، مشيرا اليه بالوقوف على جذع الشجرة – اى منصة المزاد .

يلتفت جونز ويرى وجوها تحيطه من كل جانب ، ويتلفت بجنون باحثا عن ثغرة يفلت منها ، فلا يجد ، فيصرخ ويقفز مندفعا في عنف فوق أعلى نقطة من جذع الشجرة حتى يبتعد عنهم قدر المستطاع . يقف هناك في انحناء وقد اصابه الفزع بشلل تام . بدأ الدلال بأسلوب هادىء فأشار الى جونز ، ثم طلب من المزارعين ان يروا بأنفسهم ها هي يد فلاح سليم البنية ، كما يرون ، قوى الجسم على الرغم من انه في منتصف العمر . انظروا الى ظهره . انظروا الى كتفيه ، وانظروا الى عضلات ذراعيه وساقيه القويتين . انه قادر على اى عمل شاق . وفوق ذلك فطبعه هادىء ، وذكي ، ولين العريكة ، هل يبدأ احد منكم أيها السادة المزاد ؟ يرفع المزارعون ايديهم ، ويبدأون العطاء . كلهم على ما يبدو ، شغوفين باقتناء جونز . كان المزاد مليئا بالحماس والنشاط ، والجمهور مهتم جدا . بينما كان هذا المزاد يسير على هذا النحو ، استولت على جونز شجاعة اليائس ، فأخذ في جرأة ينظر الى الجمهور من حواليه ، وعلى وجهه حل مكان الفزع الرهيب نوع من الحيرة ثم ادراك تدريجي بأن . . . . ثم يقول متلعثما) .

ما الذى تفعلون ، أيها البيض ، ما الذى يجرى هنا ، لماذا تنظرون الى هكذا ، ما الذى تفعلون بى ، على أية حال ؟ (ثم يتشنج من الغضب

جالسة خلف جونز . يجلسون في وضع ينم عن العجز واليأس ، حانى الظهور ، كل واحد منهم مواجه الآخر ، وظهورهم تلمس حائط الغابة وكأنها موثوقة بها كلهم زنوج عرايا اللهم الا ما يستر العورة . في البداية يبدون صامتين لايتحركون ، ثم يأخذون في التمايل الى الامام ثم الى الخلف في حركة واحدة منسجمة ، كما لو أنهم يتراخون ليسايروا السفينة التى تميل كثيرا الى جانبها . وفي الوقت نفسه تنبعث منهم تعتمة حزينة خفيضة ، ترتفع في تناسق متدرج وكأن دقات الطبول توجهها وتضبط نغمتها — ترتفع حتى تصير عويلا يائسا يصل الى درجة حادة لاتطاق ، ثم تنخفض بالتدريج حتى تستحيل الى صمت ، وهكذا دواليك . يفزع جونز ، وينتبه ، فيرى الاشباح ، فيلقى بنفسه من جديد على الارض حتى يتفادى النظر اليها . ويرتعد كل جسمه من شـــدة الفزع . عندما يعلو العويل مرة ثانية لكن في المرة التالية يعلـــو صوته وكأن شيئا غامضا قد دفعه الى ذلك دفعا . وعندما يرتفع صوتهم يجلس في وضع ممـــاثل للآخرين الى الامام ثم الى الخلف معهم ويعلو صوته الى أقصى درجات الأسى والكآبة . يتلاشى الضوء ، وتتوقف الاصوات الاخرى ، ولا يتبقى الا الظلام . ويمكن سماع جونز وهو يهـــرول ويعـــدو ، ويتلاشى صوته بالتدريج كلما ابتعد أكثر وأكثر في الغابة . اما دقات الطبول فتتالى وتزداد سرعة وشـــدة وكأنها دقات قلب ألهبته فرحة النصر .

المشـهد السـادس

(ارض فضاء في الغابة ، تتشابك أفرع الاشجار فوقها مكونة سقفا منخفضا على بعد خمس أقدام من الارض . وترتفع افرع النباتات المتسلقة فتحتضن اجذع الاشجار مكونة ما يشبه القبوة على الجانبين ، وتبدو المساحة التى تحيطها الاشجار كما لو أنها جوف سفينة عتيقة يعج بأصوات شتى . لايكاد يرى ضـــوء القمر اللهم الا ضـــوء خافت غامض يتسرب عبر أوراق الشجر . هناك صوت شخص يقترب من جهة اليسار ، متعثرا ، وزاحفا عبر الاحراش . ويسمع صوت جونز تختلط به انات الفزع) .

يا الهى ، ماذا افعل ؟ لم تتبق لى سوى الرصاصة الفضية ! اذاطاردتنى تلك الاشباح ، فكيف لى ان اطردها بعيدا ؟ يا الهى ، لم تتبق ســوى الرصاصة الفضية — ولا بد ان احتفظ بها لأنها تجلب الحظ الحسن . اذا اطلقتها فسيحل بى الدمار بالتأكيد ! يا الهى ، ما هذه الظلمة ! أين القمر ؟ يا الهى ، أليس لهذا الليل من نهاية ؟ (يتحسس طريقه الى الامام بحـــذر ، مستعينا بالاصوات التى يحدثها) هنا ! يبدو ان هذه ارض فضاء . لابد ان استريح بعض الشيء . لا يهمنى اذا ادركنى هـــؤلاء الزنوج . لابد ان استريح بعض الشيء . (الآن وقد تقدم الى الامام المدرجة يمكن رؤيته وان كان في غير موضوح . سرواله تمزق حتى ما تبقى منه لم يعد أفضل من خرقة تستر العورة . يرتمى على الأرض ممـــددا ، ووجهه الى الارض ، وهو يلهث من شـــدة الاعياء . شيئا فشيئا يبدو ضـــوء في الارض الفضاء ، ويمكن رؤية صفين من اشباح

وجهه تعلو وتهبط كتفاه من جراء شهقاته الهستيرية المفزعة . . ومن وراء جـــذع الشجرة يظهر فجأة ساحر كونجولى ، كما لو انه انطلق من قلب الشجرة . هو رجل ضامر عجوز ، عار الا من فراء حيوان صغير حول خصره ، يتدلى ذيله أمامه . لقد لطخ كل جسمه بلون أحمر فاقع ، وله قرنا بقـــر وحشى على جانبي رأســـه متجهان الى أعلى . في احدى يديه « خشخيشة » من العظم ، وفي اليد الأخرى عصا سحرية ينتهى طرفها بريش ببغاء . وقد زين عنقه ، وأذنيه ، ومعصميه ورجليه بعدد كبير من الخرز الزجاجي والحلى المصنوعة من العظم . يتبختر في هـــدوء وقد بدت خطواته أشبه بالقفز الغريب حتى يصل الى مكان ما بين جونز والمذبح ، ثم يأخذ في الرقص والغناء بعد ان يضرب الارض بقدميه معلنا بالبداية . وتأخذ دقات الطبول ، كما لو أنها استجابت له ، في الارتفاع لدرجة عنيفة مدوية فتتردد اصداؤها في نغم متسق عبر الهواء ، يلتفت جونز ويهم بالوقوف ، وقد بلغ وضعا ما بين الركوع والسجود ، ويظل هكذا في حالة من الجمـــود وكأنه أصيب بشلل من جراء الرهبة والانبهار اللتان أحدثهما هذا الشبح الجـــديد .

يتمايل الساحر ويضرب الارض بقدمه على نغمات « الخشخشة » . ويعلو صوته وينخفض الى ترنيم غريب لا تتخلله أيه كلمات . وشيئا فشيئا يبدو في وضوح أن رقصه يحكى قصة صامته « بانتومايم » وان ترنيمه هو تعاويذ لتهدئة غضب اله جبار يريد قربانا ما . انه يفـــر . ثم تتبعه الشياطين فيختبىء ، ثم يفر ثانية . ويزداد فراراه عنفا ، ويزداد اقتراب الشياطين الذى تطارده ، ويزداد تسلط الفزع على نفسه . وترتفع حدة الطنين ، وتتخلله صيحات حادة . لقد أصبح جونز تحت تأثير منوم مغناطيسى تمـــاما ، انه يشارك بصوته في التعاويذ ، وفي الصيحات ، وتصفق يداه مع النغمة ويتمايل جسمه حتى الخصر الى

المشهد السابع

(جذع شجرة ضخمة بالقرب من حافة نهر كبير . وبالقرب من هذه الشجرة مبنى حجرى أشبه بالمذبح في الكنيسة . ان شاطىء النهـــر يبرز عاليـــا في اقرب نقطة من مؤخرة المسرح . وخلفه يتسع النهـــر ويبدو هادئا ساطعا في ضـــوء القمر ، ومن بعيد قد غطته غلالة من ضباب أزرق . يسمع صوت جونز آتيـــا من جهة الشمال يعلو ويهبط مع العويل البائس للرقيق المقيدين بالاغلال ، ويتسع مع دقات الطبول المنتظمة . وعندما ينخفض صوته الى درجة الصمت يدخل الارض الفضاء ، وقد بدت تعبيرات وجهه جامدة متحجرة ، كما لو أنه يمشى اثنـــاء النوم او في حالة ذهول تام . يلتفت حوله الى الشجرة ، والمذبح ، الى صفحة النهر المقمرة ، ويمـــر بيده على رأســـه في حركة غريبـــة تنم عن ارتبـــاك وحيرة ، ثم يركع في خشوع امام المذبح وكأنه تحت تأثير قوة غامضة . ثم يبدو أنه قد أفاق لنفسه بعض الشيء ، وكاد يدرك ما يفعله ، اذ انه اعتدل في وقفته وحملق فيما حوله في رعب — ثم أخذ يتمتم بكلمات غير مترابطة .

ماذا . . ماذا أفعل ؟ ما هذا — ما هذا المكان ؟ يبدو انى أعـــرفه من قبل . . وهذه الأحجار . . وهذا النهر . انني أذكر . . يبدو انى كنت هنا من قبل . (مرتعدا) يا الهى ، انني خائف في هذا المكان ! انني خائف . يا الهى ، احفظ عبدك الآثم !

(يزحف بعيدا عن المذبح ، وقد قبع قريبا من الأرض وقد اختفى

الرصاصة الفضية ! لن تقتلني بعد !

(يطلق النار على العينين الخضراوين أمامه ، فيختفي رأس التمساح وراء شاطيء النهر ، ويقفز الساحر وراء الشجرة المقدسة ويختفي ، ويظل جونز ممـــددا على ظهره على الارض ، ويداه ممدودتان وهو يئن من شـــدة الخوف ، عندما تمزق دقات الطبول السكون من حواليه ، وهي دقات مقبضة وان بدت فيها نغمة الهزيمة ، الا ان رنة الانتقام بادية قوية فيها .

الامام والى الخلف . لقد نفذت الى أعماقه الرقصة بكل ما فيها من روح ومعنى ، حتى أصبحت هى روحه بذاتها . وأخيرا تتوقف رقصة البانتومايم عند صيحة يأس ، وتستأنف من جديد بنغمة أمل عنيفة . هناك الخلاص ! ان ارواح الشر تطلب القربان . ولا بد من ارضائها . عندئذ يشير الساحر بعصاه الى الشجرة المقدسة ، ثم الى النهر ، والى المذبح ، وأخيرا الى جونز آمرا في عنف ووحشية . ويبدو إن جونز أدرك ما يعنى . . . . انه هو الذى عليه ان يضحى بنفسه ، فيضرب رأسه في يأس على الارض ، وهو ينتحب بطريقة هستيرية) .

الرحمة ، ياربى ! رحمة بهذا الآثم المسكين !

(يقفز الساحر الى شاطىء النهر ويمد ذراعيه وينادى الها قابعا في أعماق النهر ، ثم يقفل راجعا ببطء وتظل يداه ممدودتين . تظهر رأس تمساح ضخمة على الشاطىء ، وتتركز عيناه الخضراوان اللامعتان على جونز . يحملق هذا فيهما بانبهار . يقفز الساحر نحو جونز ، فيلمسه بعصاه ، ويشير اليه في أمر رهيب بأن يقترب من الوحش المنتظر . يتلوى جونز على بطنه مقتربا شيئا فشيئا ، وهو يئن باستمرار) .

الرحمة ، الرحمة ، ياربى !

(يرفع التمساح نفسه نحو الشاطىء فيبدو جزء أكبر من جسمه الضخم ، يتلوى جونز وهو يقترب منه . ويدوى صوت الساحر في نشوة عنيفة ، بينما تدق الطبول بشدة ، ويصيح جونز في تشنج شديد متوسلا في ألم ممض) .

انقذنى ياربى ! يايسوع ، انقذنى ! اسمع دعائى ، يارب !

(وفي الحال ، واستجابة لدعائه ، تخطر له فكرة الرصاصة الوحيدة المتبقية معه ، فيمد يده في عجل وهرولة الى جيب بنطلونه ويصيح متحديا)

القرفصاء في شبه دائرة) .

سميزرز : (في ضيق وتبرم) حسن ، ألا تقومون بمطاردته في الغابة ، الى متى تنظرون ؟ الى متى ؟

لـــيم : (في هـــدوء — وقد جلس القرفصاء ايضا) سنقبض عليه

سميزرز : (يشيح وجهه بعيدا عنه في احتقار) آه ! أيها الغبي ! تبـــا لكم ! انه افضل منكم جميعا . انني امقته ولا اريد رؤيته ، لكني لابد ان اقول كلمة ايضا في حقه . (يأتي صوت من الغابة . ينهض الجنود واقفين ، وقد رفعوا بنادقهم في وضع استعداد) .

(يظل ليم جالسا في هدوء وثبات ، وان كان ينصت في اهتمام ، ثم يقوم باشارة سريعة بيده ، فيزحف اتباعه على عجل داخل الغابة وقد انتشروا لدرجة ان كل واحد منهم اتجه الى بقعه مختلفة) .

سميزرز : أتظن انه هو ؟ ارجو ذلك !

لـــيم : (في هـــدوء) سنقبض عليه .

سميزرز : أيها الأغبياء ! (ثم يراجع نفسه متسائلا) على أية حال ، ربما تقبضون عليه — اذا ما ضل طريقه في هذه الغـــابة القذرة وانه سيجد نفسه دون ان يدرى يدور في حلقـــة مفرغة لن يخرج منها .

لـــيم : (في لهجة أمر) اسكت ! (أصوات طلقات بنـــادق عديدة تسمع آتية من الغابة ، تتبعها بعد ثوان صيحات فرح شديد . تتوقف دقات الطبول على الفور . ينظـــر ليم الى الرجل الأبيض وعلى وجهه بسمة الرضا) لقـــد

المشهد الثامن

(الفجر . نفس المشهد الثاني ، خط فاصل ما بين الارض الفضاء والغابة . تبدو في غير وضوح جذوع الاشجار الاكثر قربا من مقدمة المسرح ، ولكن الغابة وراءها لاتزال كتلة من الظلام القائم . وتبدو طبول التوم توم في مكانها عالية مدوية باستمرار . يدخل ليم من جهة اليسار ، تتبعه مجموعة صغيرة من الجند ، والتاجر الانجليزى سميزرز . ليم رجل بدين عجوز له وجه قرد ، نموذج مثالى للافريقين البدائيين لا يلبس الا قطعة قماش تستر عورته ، وحول خصره مسدس وحزام به خراطيش ، كما ان جنوده عراه الا من بعض الخرق التى تسترهم بدرجات متفاوته . كلهم يرتدون قبعات من سعف النخيل . ويبدو ان أحد هؤلاء الجنود كان من تابعي الاثر ، اذ كان يحدق النظر في الارض ويشير الى المكان الذى دخل منه جونز الغابة . عندئذ يأتى ليم وسميزرز نحوه)

سميزرز : (يلقى بنظرة سريعة ، ثم يشيح بوجهه باشمئزاز (فعلا ، هذا هو المكان الذى دخل منه . لكن ما الفائدة ؟ بعد ثمان اميال من هنا سيبلغ الساحل في أمان — لعنة الله عليه ! لقد قلت لكم انكم لن تمسكوا به . . اليس كذلك ؟ لقد اضعتم طول الليل بدقات طبولكم اللعينة ، واعداد تعاويذكم السخيفة ! يا الهى ، يالكم من شرذمة !

ليم : (في خشونة) سنقبض عليه (ويشير الى جنوده الجالسين

قبضنا عليه . لقد مات .

سميزرز : (مزمجرا) من أدراك انه هو ، وكيف تعلم انه مات ؟

لـــيم : لقد حصل رجالى على رصاص فضى . ان الرصاص العادى لا يقتله . انه يتحصن بسحر قوى . لقد حصلت لهم على النقود ، وصنعوا الرصاص الفضى والتعويذة السحرية الفعالة ، ايضا .

سميزرز : (دهشا) اذن ، هذا ماكنتم تفعلونه طوال الليل . . . أليس كذلك ؟ لقد كنتم تخشون مطاردته حتى تصنعوا الرصاص الفضى . . أليس كذلك ؟

لـــيم : (ببساطة وكأنه يقرر حقيقة) فعلا . ان الرصاص العادى لا يؤثر فيه . . انه محصن بسحر قوى .

سميزرز : (يضرب فخذه ويضحك بصوت عال) ايه ؟ ايه ! انك لن تصل اليه (يتمالك نفسه – ويقول في احتقـــار) ، انى أراهن ان الذى أطلق النـــار عليه هو شخص آخـــر ، أيها الأحمق !

لـــيم : (في هدوء) انهم سيأتون به الآن . (يخرج الجنود من الغابة حاملين جثة جونز . انه ميت . يحملونه الى لـــيم الذى يفحصه بارتياح كبير) ايه ، هذا جزاؤك ، ياجونز يابنى ! انك ميت كالسمكة ! (في سخرية) أين كبرياؤك وجبروتك ، وأين عظمتك ؟ ! (ثم ببســـمة عريضة ساخرة) الرصاص الفضى يا الهى ، يا الهى ! ايه ، لكنك مت على أحسن مايكون الموت ، على أية حـــال !